جدل المعرفة الدينية عند عبد الكريم سروش
"نظرية في الإدراك العصري للدين"

The controversy of religious knowledge of Abdul Karim Soroush
A theory of the modern perception of religion

حليم بن هبري [1*]، أحمد باجي [2]

مخبر مجتمع تربية عمل/ كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

[1] جامعة مولود معمري - تيزي وزو (الجزائر)، الإيميل :halim.benhebri@ummto.dz

[2] جامعة مولود معمري - تيزي وزو (الجزائر)، الإيميل : ahmed.badji@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/15 تاريخ القبول: 2023/05/31 تاريخ النشر: 2023/06/05

ملخص:

تعددت النظريات الدينية في قراءة وفهم الدين الإسلامي، في الفترة المعاصرة، إلى حد أن شكّل أزمة الاختلافات الفقهية والدينية في العالم العربي الإسلامي في الفترة الراهنة، حتى وصل ببعض التيارات والاتجاهات الدينية إلى حد التكفير واتهام المسلم لأخيه من المسلمين ووصفهم بالمبتدعة والمنحرفين والخارجين عن الملة، وأصبحت كل فرقة او كل مذهب يدعيَ لنفسه الفهم الصحيح للدين، وقد سلطنا الضوء على مشروع فكري جديد في النظريات المعاصرة والتي نشأت في علم الكلام الجديد بداية من الفينات هذا القرن، ففيم يتمثل مشروع الإدراك العصري للدين عند عبد الكريم سروش؟

فقد سعى في مشروعه هذا إلى تبيان أسس المعرفة الدينية في ظل متغيرات العصر، وكذلك الفصل في مستويات المعرفة الدينية واركانها، والأسس الصحيحة والسلمية من اجل فهم الدين.

كلمات مفتاحية: *النظرية الدينية، الجدل، الفهم، المعاصرة، التدين.*

Abstract:

There were many religious theories in reading and understanding the Islamic religion, in the contemporary period, to the extent that it formed a crisis of jurisprudence and religious differences in the Arab-Islamic world in the current period, until it reached some religious currents and trends to the point of" takfir " and accusing a Muslim of his fellow Muslims and describing them as innovators, deviants and outlaws. And every sect or every sect claims for itself the correct understanding of religion, and we have shed light on a new intellectual project in contemporary theories that arose in the new science of theology beginning in the 2000s of this century, so what is the project of the modern understanding of religion for Abdul Karim Soroush?

[*]المؤلف المرسل: حليم بن هبري ، الإيميل : halim.benhebri@ummto.dz

In this project, he sought to clarify the foundations of religious knowledge in light of the changes of the age, as well as to separate the levels of religious knowledge and its pillars, and the correct and peaceful foundations for understanding religion.

Keywords: Religious theory, controversy, understanding, contemporary, religiosity.

1. مقدمة :

إن ما يميّز الدين الإسلامي عن باقي الرسالات السماوية الأخرى هو طابعه العالمي والشمولي لجميع الإنسانية، فقد بلغ المسلمون منذ تأسيسهم لأول دولة لهم إلى مصاف التأثير على الآخر والذى كان تابعا لهم إلى زمن بقريب، ولكن دخل العالم العربي الإسلامي في موجة التخلف والتخبط في أزمته الراهنة، وبذلك أدى إلى ظهور مناهج مختلفة تعسى إلى إيقاظ الأمة من غفلتها وجعلها تسترجع مجدها الغابر، وبين هذه المناهج نجد تلك التي دعت الإصلاح للفهم الدينين وتلك التي عملت على اتباع المناهج الغربية والبغية منها استخدام المناهج الحداثية على الشريعة الإسلامية من أجل فهمها وإحياء للعلوم المختلفة من خلالها، فقد برز المفكر الإيراني "عبد الكريم سروش"" في نظريته المعروفة بالقبض والبسط في الشريعة، الذى بحث في أصول المعرفة الدينية واركانها ومستوياتها، من أجل تجديد فهم الدين على ضوء ما هو معاصر وفي خضم ما تقدم يتبادر إلى أذهاننا السؤال التالي:

ما مفهوم الدين عند عبد الكريم سروش؟ وكيف يكون الإدراك العصري للدين؟

كيف تكون العلاقة بين الدين والفلسفة من أجل الفهم الصحيح للدين؟

ومن أجل تحليل هذه الإشكالية اعتمدنا على المنهج التحليلي الذي قمنا بتحليل أفكار سروش في مختلف مؤلفاته التي أورد من خلالها كيفية الإدراك العصري للدين

والهدف من هذا البحث هو محاولة منا ابراز المنهج الجديد لفهم الدين حسب مقتضيات العصر الراهن، والأسس التي وضعها المفكر من أجل الفهم الموضوعي خارج الانتماء الطائفي او المذهبي.

2. حياة سروش والإدراك العصري للدين:

1.2 نبذة عن عبد الكريم سروش:

ولد عبد الكريم سروش في يوم عاشوراء 1945م، بمدينة طهران عاصمة إيران، حيث زاول دراسته الابتدائية في القاتمية في طهران، ثم انتقل لإتمام مشواره الدراسي في مرحلة الثانوية في البداية التحق بثانوية" مرتضوي" فانتقل منها إلى ثانوية "الرفاه" التي تمزج في مناهج تعليمها للطلبة بين الدروس الدينية ومنهاج العلوم الطبيعية[1]

في هذه المرحلة بالذات (الثانوية) تأثر سروش بأحد أساتذته ""رضا روزبيه" الذي كان معروفا في تفسيراته للآيات القرآنية، وكما أنه كان محبا للاطلاع، واكتساب المعرفة، مثله مثلما حدث للغزالي المعروف بقوله في المنقذ من الضلال:"" **وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي""**[2]

وقد تأثر سروش في هذه المرحلة بالذات بمصدرين رئيسيين هما، علم الأخلاق الإسلامي، والسلوك العملي، الأول كان كتاب ""جامع السعادات""، للملا النراقي توفي (1029ه) والثاني كتاب" «المراقبات في أعمال السنة للتبريزي ""توفي (1343ه)،[3] ويصف نفسه قائلا: «درست قسما من كتاب ""جامع السعادات"" عند أحد العلماء الإعلام، والباقي قرأته وحدي ولكن لم أكتف بقراءة كتاب ""المراقبات" بل التهمته التهاما، وإلى الآن عندما أتذكر هذا الكتاب تأخذني حالة الهيبة والرهبة في أعماق وجودي حيث أودع المؤلف المبدع نوعا من الأمل والرجاء في هذا الكتاب القيَم ولولا قراءتي لهذين الكتابين لم أستطع الفرز بين علم الأخلاق الإسلامي الجاف والبارد والعقيم وبين حلاوة ولذة كلام العارفين وطريق السالكين""[4]

ومن هذه المقدمة حول حياته التعلمية يمكن اعتبار سروش بانه تأثر بالمجال العرفاني الصوفي قبل أن يتسع عقله للرياضيات والمواد العلمية" «وكيف لا وقد وقع فؤاده في أجمل ما كتبه المتصوفة العارفين""[5]

على غرار دراسته للتصوف في بداية رحلته الفكرية(العلمية) ومن جانب آخر كانت المواد العلمية أكثر استهواء له كالرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلى اشتغاله واطلاعه على ما يحدث في الساحة الفنية السياسية في ظهور أيديولوجيات، والصراعات الناشئة بينها ومحاولة الظفر بالإمبراطورية العالمية[6].

توجد هناك بعض الروايات التي تقول بأنه التحق بمجموعة الحجاتية لكنه سرعان ما تبيَن أنه لا يشاطر هذه المجموعة الإسلامية أفكارها وتحديدا موقفها العدائية من البهائية، فغادرها وانكب يتفقه القرءان ونهج البلاغة[7]

وفي انتقاله من التعليم الثانوي إلى التعليم الجامعي، اختار سروش اللحاق بكليتي الفيزياء والصيدلة ولكنه في الأخير اختار الصيدلة وعندما أنهى دراسته الجامعية طلب للخدمة في الجيش وبعد انتهائه من أداء واجبه الوطني عيَن مباشرة مسؤولا عن مختبرات الدولة في منطقة بوشهر، وقد ظل في مركزه هذا مدة عام ونصف[8]

وبعد النجاح الذى حققه في مساره المهني هذا عرضت عليه منحة دراسية إلى بريطانيا فوافق على الفور لأنه المشروع الذى كان ينتظره، من قبل فالتحق بجامعة لندن في فرع الكيمياء التجريبي، وفي نفس الوقت واصل دراسته الفلسفية في نظرية المعرفة، ويصف سروش هذه المرحلة" «في عام 1972م، عندما كنت عازما للذهاب إلى بريطانيا لإكمال الدراسة الجامعية اصطحبت معي كتب الأسفار الأربعة(العقلية) لصدر المتأهلين الشيرازي والمحجة البيضاء للملا محسن فيضي الكاشاني، والمثوي المعنوي لجلال الدين البلغي الرومي وديوان شمس الدين محمد حافظ الشيرازي فالكتاب الأول كان غذاء لعقلي والأخريات كن غذاء لروحي

فالزاد العلمي الذي اصطحبه إلى بريطانيا لم يكن كافيا بل عمد إلى دراسة الفلسفة والكيمياء والعديد من الكتب الحديثة الأخرى إلا أنه كان اهتمامه الكبير بكتاب جلال الدين الرومي المولوي الذي اعتكف على دراسته وإقامة علاقة حوارية مع الأقوال العرفانية لهذا المتصوف الذي اكسبه قوة أخلاقية وشرابا اشراقيا كل هذه الأدلة تصرّح أن سروش عرفاني متصوف قبل كل شيء.[9]

3.الإدراك العصري للدين:

1.3.مفهوم الدين:

لا نستطيع أن نحدد تعريفا جامعا للدين، نظرا لانتشاره في جميع أصقاع الأرض، وتعدد مذاهبه على اختلاف البشرية، إلا أنه حاولت عدة مدارس ونظريات أن تضع مفهوما للدين من الناحية اللغوية كذلك فنقول انه دينا أي ملكه، حكمه، ساسه، دبره، حاسبه، فهي بمعنى المحاسبة والجزاء.

وكلمة (الدين الله) أي (الحكم لله) فنقول: دان له أي أطاعه وخضع له، فهو بمعنى الخضوع والطاعة وباختصار فإن الدين هو العلاقة التي تربط بين طرفين أحدهما يعظم الآخر وكذلك كلمة الدين هو الدستور المنظم لتلك العلاقة والمظهر الذي يعبر عنها[10] وورد في لسان العرب ""لابن منظور في قوله تعالى: ""إنا لمدينون""، أي محاسبون ومنه الديان في صفة الله عز وجل، وفي رواية حديث سلمان: إن الله لا يدين للجماء من ذات القرن أي يقتص ويجزين والدين: الجزاء، وفي حديث ابن عمورا: لا تسبوا السلكان فإن كان لابد فقولوا اللهم دنهم كما يدينوننا أي اجزهم بما يعاملوننا به، والدين: الحساب ومنه قوله تعالى:"" ذلك الدين القيم"" أي ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوى والدين: الطاعة، وقد دنته له أي أطعته.[11]

أما في الاصطلاح فيعرفه "إبراهيم تركي" «إنه النظام الذي له قوانينه وتقاليده وتعاليمه الخاصة ويشتمل هذا النظام على مجموعة من القضايا والتصورات النظرية الاعتقادية وهي

التي تسمى بالعقيدة إلى جانب مجموعة من الشعائر والطقوس التعبدية والممارسات السلوكية وهي التي تعرف بالشريعة""[12]

ويشتمل الدين على أربعة عناصر أساسية وهي: العقيدة، الشريعة، المقدسات والعبادة، فهناك من يرى بأنه المفاهيم العامة بوصفه ظاهرة اجتماعية تتجلى في مجتمع ينشده الفرد ليقيم الحياة المثلى، وتتضمن ثلاثة عناصر هي، المثل الأعلى والممارسات

الهادفة تعمل على تعظيم المثل الأعلى وتحقيق قيمته، والنظرة اللاهوتية التي تربط بين إله معبود يمثل الأعلى وبين الكون المحيط بالإنسان[13]

ونجد كذلك من الفلاسفة الغربيين أمثال "هربرت سبنسر"" إذ يقول ""الدين هو الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار""، وكما يقول أيضا: «أن الأديان على قدر اختلافها في عقائدها تتفق ضمنيا، في إيمانها بان وجود الكون هو سرا يتطلب التفسير""[14]

وهذه التفاسير للدين تنضوي في قسمين رئيسيين وهما:

النظرية التطورية التي ترى أن شأن الإنسان مع الدين كشأنه مع مظاهر الحضارة الأخرى.

أما الثاني فهي تلك النظريات التي نرى بان أول شيء بدا فيه الإنسان هو التوحيد الذي كشف عنه أما بتأمل النظري أو بالوحي الإلهي وبالتالي فإن الدين هو مجرد اعتناق لأي غذاء روحي سيستمد منه الإنسان وجوده[15]

والسبب الذي أدى بـ"سروش" إلى اصطلاح العصرنة على الدين، لأن فهم الدين نسبي ومتغير حسب متغيرات العصر، وثقافة المجتمع، بمعنى لكل زمان تأويله الخاص.

2.3.الدين في رؤية سروش:

يعتبر سروش فهم الدين بمجمع عام انه بشري تاريخي وذلك ما أفرزته معظم كتاباته مثال القبض والبسط، الصراطات المستقيمة، فهي مستوحاة من نظريات فلسفة العلوم والهيدرومنطقية. [16]

إن الفهم الديني يتميَز بأنه سيال رجراج وعصر ي ومتحرك، بحيث إننا عودنا انفسنا منذ القديم أن العلوم الإنسانية والطبيعية والكونية صحيحة، وأننا نضع لها حجج على حقانيتها وهذا في سروش رأي غير صحيح لأن التاريخ الذي هو ساحة امتحان للعلوم البشرية، قد غيَر مجرى حياة الإنسان وجسده وأعصابه مساعدة أكبر في معرفة الروح هذا ما يميَز الطابع الحياتي العلمي للإنسان منذ الأزل وكما أنه بانفصال العلوم عن الفلسفة التي كانت قفزة نوعية وتاريخية في تاريخ العلوم، يعني التغيَر في ذهنية التفكير العلمي العقلي له علاقة وطيدة بتغيَر الفهم، والإدراك الصحيح للدين لأن كل فئة من الناس عاشت في فترة من الزمن لديها إدراكها الخاص لدين بها ويلخص سروش ذلك في مثال تاريخ الفلسفة إذ يقول"" ...لماذا أخرجت الطبيعيات القديمة من الفلسفة بهدوء ودون ضجة، في حوارات العلوم الدينية، ولم تعد تدرس وقبلت العلوم الجديدة شيئا فشيئا، ولكن أو لم يكن غياب العلوم الطبيعية القديمة من فلسفة ما بعد الطبيعة كثير الضرر إذ جعلها مظلمة"".[17]

3.3.محاولات فهم الدين:

بالرغم من التفسيرات التي وردت في تأويل النصوص الدينية، هي دائما واقعة في قبض وبسط وتغير مستمر، على غرار العلوم التجريبية والفلسفة التي كانت محاولاتها منذ بزوغها ساعية، نحو الكمال والإجمال بصورة كلامية، إلا أنها تبقى ناقصة دائما، فكذلك لو قمنا بعمليات إسقاط لمحاولات علوم الفقه والتفسير والأخلاق، وعلوم الكلام، الوصول إلى الكمال فهذا غير ممكن، لأن أصلها بشري والبشر في أصل معرفته ناقص وبالتالي لا نستطيع أن نجزم بان هناك فقه كامل باعتباره معرفة بشرية، وأن الفهم الجيَد للدين مرتبط بما هو واقع من نضج الدين والفلسفة، فكلما تقدمت نحو النضج استطاع العلماء فهم الشريعة (المرجعية) واستخراج معانيها دون تضييع او تأويل خاطئ إذ يقول سروش"" ...كلما ازداد العلم والفلسفة نضجا كلما ازدادت قدرة العلماء على استخراج المعاني وزاد حظهم من فهم المقاصد الشريعة،

ويفهم علماء الدين، دون أي تكلف أو تضيع أو تضييع أو تحريف أو تحريف أو تأويل أو التقاط الشريعة في كل عصر، كما تقتضي المعارف السائدة في ذلك العصر.""[18]

وكذلك الرجوع الدائم للعلماء في المشكلات التي يصادفونها إلى الكتاب والسنة والغوص في أعماق الشريعة، كي لا يترك طريق للجهالة، وكذا تعزيز العلماء بالمعارف غير الدينية التي ترمم المعارف السابقة وتحديدا لمضمونها ومحو للمعارف الخاطئة، وإن يحسب اعتقاد عامة الناس (المؤمنين) أن الشريعة لا تحمل أي تناقض او تعارض، وان الدين بجوهر واحد ونافي للاختلاف، وإذن إذا انطلقنا من هذه المسلمة فمن أين أتت الاختلافات والنزاعات بين العلماء وظهور ما يسمى بالفرق الكلامية، فما مصدر الاختلافات أهو فهم الدين ضد فهم آخر له؟

أم ان البشر يدخلون تصوراتهم لمعارف أخرى فيقحموها للتفسير، ومحاولة معرفة متن الشريعة، مع التأكيد أن كل قوم ينظرون إلى الأمر من منظار عصرهم، ومن منطلق معارف عصرهم،[19] والسبب في ذلك هو عقلية داخل المعرفة الدينية، إذ إننا ننظر إلى المعرفة من الخارج ونحاول كشف أسرار النزاعات، ونبذ الاختلافات في الوقت ذاته نرحب ونسلم بالنزعات وإقامة مناظرات.

وللإدراك العصري للدين معان أربعة:

-الأول: إدراك ملائم ومتناغم مع علوم العصر

-الثاني: إدراك متأثر بعلوم ومستمد منها، من حيث المدلول والمفاد

-الثالث: هو جواب عن مشاكل العصر النظرية

-الرابع: هو جواب عن مشاكل العصر العملية

إن كل من هذه الإدراكات جزء من المعرفة الدينية التي تصبح متحولة ومتكاملة بتأثير أسئلة العصر وعلومه، نستطيع أن نقول بأن جميع الصفات التي اصطلحت على الدين استمدها الإنسان كلها خارج الدين، بمعنى عند دراسة معارف أخرى كالكونيات والمباحث الفلسفية ستساغ على الدين مصطلحات معينة مثل، علم أصول الدين الفقه الأكبر، وتحول الحوادث وامتزاج بالعلوم الأخرى بالتأكيد سيولد أسماء ومصطلحات جديدة، وفي اعتقاد

المؤمنين ان الدين فطري، وحقي، وإنساني، عادل وكامل، هذه المصطلحات مثلا نابعة خارج الدين لأنه يقاس على أساس الحق، ومدى تحققه له.[20]

إن من بين الأمور التي وقع فيها الناس هو عدم التمييز بين المصطلحات التي يطلونها على الدين الفهم الديني فلا يميَزون مثلا بين المتكامل أو التكامل الخالص النقي، فاعتقاد بعض المعاصرين إنهما مفهومين متناقضين، فهذا ما أدى إلى عدم التمييز بين الشريعة وفهم الشريعة ولتوضيح ذلك يقول "سروش":"" ....الشريعة مقدسة وإلهية وكاملة، ولا مجال فيها للخطأ او للتناقض، وهي ثابتة وخالدة و لا تحتاج إلى مساعدة العقل البشري والمعرفة البشرية، ولا ينالها إلا المطهرون، إنما فهمنا للشريعة أي علوم الفقه والتفسير والأخلاق والكلام، لا يتمتع بأي صفة من هذه الصفات، إن فهم الشريعة لم يكن ثابتا ولا كاملا في أي عصر من العصور، وهو ليس كذلك الآن، وليس منزها عن الخطأ والخلل..""[21]

إن مجمل العلوم البشرية محكوم بالأحكام الإنسانية فهي معرضة للصيرورة دائما فلا مجال للقول بان هناك فقه كامل، وأن جميع المعارف مرتبطة بسابقيها من النظريات.

وبالاعتماد عليها كمرجعية أولى لفهم التجديد في الفكر فمثلا: من لا يعرف تاريخ الإسلام بشكل صحيح، ولم يتعمق في التفسير، ويسبر أغواره فلن يكون له فهم صحيح للشريعة وان تصورينا للشريعة والطبيعة هناك أسرار فيها لم تكتشف بعد ولذا فإن فهمنا للعناصر المكتشفة اليوم ناقص وينتظر إفهام الغد، لفتح الباب لبناء هندسة وفهم جديدين.

وتصبح المعرفة بالمجهولات معلومة بالتدرج عن طريق ركنين ما نعرف وما لا نعرف، وبالضرورة فإن التصور على العموم يكون ناقصا وقابل للارتقاء والتكامل وذلك عن طريق أمرين:

*الأول: الانقلاب الذي يطرأ على المعارف السابقة ومحاولة تخطيها أما الثاني: وهو محاولة تركيب العناصر الجديدة والعناصر القديمة التكامل من حيث الكم والكيف، وأراد سروش توضيح ذلك من خلال المعرفة التاريخية لأنها نموذج معبَر وهو أقرب المعارف إلى فهم الدين والمعرفة الدينية، فالاعتقاد الذي كان سائدا بين المؤرخين هو محاولتهم لملمة حقبة

تاريخية في عصر معين، وسرد الحوادث التاريخية بالتفصيل، ولا يستطيع أي باحث أن يزيد أو ينقص منة هذا الاعتقاد الخاطئ أدى إلى السكون والركود الإيمان بالثبات والكمال، وكان الظن أيضا على المؤرخ أن يستند إلى الموثق والرواة الصادقون ويجب عليه أن يضع في عمله هذين الأمرين إلى أنم ظهور فلسفة التاريخ قد قلب الموازين ونفي التسليم الذي كان سائدا فإن عصر امة وتاريخها يكتب على الأقل بعد مرور قرن من الزمن ويريح المؤرخ الأجيال اللاحقة من التعب والتنقيب واستبدال به القول في الأخير:"" إن المؤرخ علم التاريخ هو حصيلة التفاعل بين المؤرخ والإسناد التاريخي"".[22]

4.3. تبدل المعنى حسب تبدل النظرية:

إذا ما سلمنا بمقولة أن لكل فهم دين عصر فإن المسائل التي جرى عليها القدماء (الفقهاء المتكلمين) قد أضحت اليوم عبارة عن تاريخ أو حوادث تاريخية وأسئلة عصرنا تدعوا إلى اختيار وتنظيم جديدين لمواد الشريعة وهو اختيار وتنظيم اللانهاية.[23]

فتغيَر العصور الذي أشرنا إليه في السابق هو ظهور الأسئلة التي تلفت المحقق لأحكام الشريعة المتنوعة فتوجهه إلى أسئلة صحيحة حسب ظروف العصر ولهذا فإن دور الأسئلة تؤدي إلى التجميع، ومعارف ذلك العصر إلى التحكيم، وبالتالي فالفهم الديني عادة يحتاج إلى مقامين وهما: التجميع (دور الأسئلة) والتحكيم (معارف العصر) ويطرح سروش في هذا الباب قضية أخرى وهي : القضايا التي لم نفكر ولم تتعقل فيها من قبل أهي الشريعة نفسها أم هي ادراكات عابرة خارج الشريعة، فيجيب إذا اعترفنا بصحة معلوماتنا التي تنضج بالتدريج فإنه يؤدي كذلك إلى نمو ونضوج مجهلاتنا تدريجيا، ونصبح قد استبدلنا الجهل بالجهل، والعلم بالجهل مثال: قبل أن تكتشف الفيتامينات في 1916م، كان يعتقد أن البروتينات والدهون والسكر هي مواد غذائية، هذا هو الاختلاف في الاعتقاد بنضج المعلومات السابقة وهي في الحقيقة جهل بالعوالم ولو لا معارف العصر لما تغيَرت النظرة إلى المواد الغذائية على انه توجد فيها تفصيلات مثل: الذي ذكرنا ولو أننا قمنا بعملية اسقاط على المسائل الدينية لوجدنا تطابق بين ما هو خاص بالعلم وبين ما هو خاص بالفقه، ويقول "سروش":""...وسيكون للمعرفة

الدينية في كل عصر أيضا، هندسة وضعية، وبما إن جميع الأسئلة لم تولد بعد، فإن الأجوبة أيضا لم تنتشر في جذع المعرفة الطري، ولذا فإن تصورنا الحالي له، فما نجهله عن الدين اليوم، قد أرخى ظلاله على ما نعرفه..."""[24]

وإذا أردنا استزادة المفهوم"" إدراك عصري للدين"" فإنه يتوضح في أن جل المعلومات التي حاولنا الإجابة عن الأسئلة التي تفسر من خلال معلوماتنا، فالإدراك الجيد للسؤال شرط لكي نحصل على جواب يليق بالشريعة، وينتج ما يسمى بإدراك عميق للنظريات التي تلد الأسئلة وبالتالي يحصل الإنسان على معرفة عميقة بمعارف العصر الذي يؤدي إلى حصول القبض والبسط في ذات المعرفة الدينية.[25]

فالفرق الكلامية كالمعتزلة والأشاعرة في صراعهما الأول في بداية تكون العقيدة الكلامية في الثقافة الإسلامية، قد استنبطوا أحكاما من الشريعة تسوغ التفسيرات التي أتوا بها في ذلك العصر، أما في العصر الحالي فكثير من المؤلفين يهابون الخوض في هذه المباحث إما خوفا من اتهامهم بالكفر والزندقة وفي بعض الأحيان صعوبة فهم هذه المباحث، فالأسئلة تلد من معلوماتنا وليس من عقل خاو، فلو أخذنا على سبيل المثال" تفسير الميزان"" للعلامة الطباطبائي، فإنه يحمل في طياته أبحاثا كلامية قديمة مثل:" حدوث العالم وقدمه «،»الشفاعة"، "عصمة الأنبياء"".

كما انه يحمل مباحث تخص العصر الحالي مثل الإسلام الخالد، الشهب السماوية، في خلاصة الأمر انه حتى المباحث الكلامية تتوافق مع علوم العصر.[26]

ومن خلال منطلق الإدراك العصري للدين، يبيَن "سروش" حقيقة واقعية، لا يزال معظم الفقهاء والعلماء يتمسكون بالفهم الثابت للدين، باعتبارهم أن الشريعة ثابتة، وينفي ذلك سروش ويقول:"" إذا كانت قوانين الطبيعة ثابتة، يكون إدراكنا بها ثابت أيضا؟ وهل معرفتنا بالله الكامل الذي لا يتغير ولا يتبدل هي أيضا كاملة لا تتغير ولا يتبدل؟"""[27]

والحقيقة التي يكشف عنها في هذا المقام هو تجاهل البعض لمثل هذه الحقائق بين التسليم بثبات الحقيقة وفهمها على حد سواء، ويصر البعض على هذه القضية ولا يريدون التنازل عنها ويبقون متمسكين بها بالرغم من وضوح نسبية الفهم.[28]

وهذا الإصرار يؤدي بنا إلى القول بأنه يكون لسببين أما انه جهل بتاريخ المعرفة او بسبب الادعاء والغرور والتفكير السطحي في عالم المعرفة، ونرجح الكفة إلى الغرور لأنه يدعي وصوله إلى حقيقة كاملة ونهائية، وبالتالي يقع في المغالطة التي لا ينظر إليها من خلال العقل، ولا يرى فيها التحوّل ويعتقد بان المعرفة وصلت إلى الارتقاء والكمال على أساس الثبات فيصيبه الركود والجهل في معلوماته.[29]

وللتفصيل في هذه القضية أكثر في مسألة الإدراك الحقيقي والعصري للدين يجب أن تتوفر فيه الشروط التالية: مقام التجميع، مقام التحكيم، مقام تيسير الفهم الديني وإغنائه وتكميله.

*مقام التجميع: من خلاله تتولد الأسئلة داخل المعلومات المكتسبة فالعلاقة بين الشريعة والأسئلة هي رهن الأجوبة تسمعها منها يعني كلما زادت الأسئلة وتنوعت تتبين الشريعة وتتوضح صورتها وتسهل عملها فيها، وبما أن العلوم والاحتياجات في تحول مستمر، فإن الأسئلة في تحول أيضا، ومن خلال هذه العلاقة تصبح المعرفة الدينية ومعارف العصر متلائمتان متناغمتان يتقدمان نحو التحول والتكامل.

*مقام التحكيم: إذا ما قلنا بان الله هو الذي أوجد الطبيعة وما بعد الطبيعة في الوقت ذاته هو الذي اوجد كتاب الشريعة فإن إدراكنا للطبيعة وما بعدها وللشريعة واحكامها لابد ان يخضع دائما للتصحيح والتعديل بحيث تكون المعارف البشرية أحيانا الحكم على فهمنا فتكشف ادراكاتنا الدينية الباطلة.

*مقام الفهم الديني واغناؤه وتكميله:

وإذا ما تناغم مقام التجميع، ومقام التحكيم فإننا قد أقحمنا إطار وفهما صحيحا للدين الذي يؤدي به إلى الارتقاء:".... إن فهم الدين يتلاءم نفسه دائما مع الإفهام للمعارف

الإنسانية الأخرى، ففهم العالم للدين يحمل خصائص صاحبه كما ان فهم العامي للدين عامي أيضا""[30]

4.نظرية سروش في الذاتي والعرضي في الدين:

يقسم سروش الدين إلى ذاتي (جوهري) وإلى عرضي (خارج الدين)، والذي أدى به إلى هذا التقسيم بالذات هو تعدد الثقافات ولغات المجتمع، ومحاولة تأسيس منهج جديد من خلاله يمكن تطبيقه على النص القرآني وينقسم هذا المنهج إلى ثلاث أقسام او نصطلح عليه ثلاث ملاحظات:

*إن قوام هذه الأمثال وهوياتها بمحتواها الداخلي الثابت

*المظاهر العرضية تظهر بوجود وأشكال جديدة متنوعة

*مناط العرفي هو إمكان ظهوره بشكل آخر

فمن مظاهر العرضيات مثلا: اللغة المستخدمة، او التي جاء بها الوحي المتمثلة في العربية فحسب سروش فإن اللغة لا تمثل عائقا وإنما هي عرض، فلو أن القرآن نزل بلغة يونانية أو هندية أو فارسية لحقق الإسلام الشمولية كما حققها اليوم.[31]

وتعني العرضي "الصورة" والذاتي "" المضمون""، وتقسيم التعليمات الدينية إلى قسمين: تعليمات ذاتية وتعليمات عرضية، وبحث سروش في الجانب وعرضه في كتابه" بسط التجربة النبوية""، ولتوضيح مبنى العرضيات في الدين طرح الأسئلة التالية:

*. من الأمور العرضية في الإسلام، هو ما تعلق باللغة العربية حيث بالإمكان ان يرد النص المقدس بلغة أخرى.

*. من الأمور العرضية: ثقافة العرب

*. التصورات والتصديقات والنظريات والمفاهيم التي استفاد منها الشارع في بيان أحكامه وتعليماته

*. الحوادث التاريخية المذكورة في الكتاب والسنة

*. أسئلة المؤمنين والمخالفين وأجوبتها الواردة في النصوص الدينية.[32]

ومن أجل فهم الذاتي والعرضي في الدين نعتمد على الأمثلة التالية:

*نقل الكمون إلى كرمان

*نقل الفحم الحجري إلى نيو كاسل

*نقل التمر إلى البصرة

فهذه الأمثلة في روحدة واعتبارها تحمل روحا واحدة، ولكن تلك العمليات، والمتمثلة في النقل هي عبارة عن عرضيات بجوهر الذات بسبب اختلاف البيئة والموطن الجغرافي، وأما الأحكام المترتبة على مقولة الذاتي والعرضي والمهمة في نقص الوقت ونسبها إلى الآخر فهي كما يلي:

إن المدلولات السابقة تشير إلى مضمون ثابت وإنما الظواهر التي ألبستها أقنعة مختلفة، وبالتالي عندما تأتي إلى التحليل تتعقل العمق لا الظاهر"" عندما نريد نقل الذاتي من ثقافة معينة إلى ثقافة أخرى لا بد من صياغة دقيقة لذلك المعنى، أي لا بد من تغطية هذه الذات بثقافة جديدة بذلا من الثقافة السابقة، وإلا فإن التساهل في هذا الأمر يؤدي إلى نقض الغرض وتضييع الذات، فالانتقال الآلي يعد عملا عبثيا وساذجا، فمثلا بالنسبة للناطقين باللغة الفارسية فإن عبارة" «نقل الفحم الحجري إلى نيوكاسل" لا يفيد أي معنى إلا إذا تم نقلها بشكل نقل "الكمون إلى كرمان' أو يتم إفهام المتكلمين باللغة الفارسية بثقافة وجغرافية تلك الديار...""[33]

وقد كان في السابق أن فهم الدين يكون بثلاث طرق أو أطر أو قوالب: الشريعة، الطريقة، الحقيقة، والتحليل السابق في ذكر هذا المقام ان الشريعة لدى القدماء يراد بها المعنى الأخص المتمثل في الأحكام الفقهية على خلاف التقسيم الذاتي والعرضي الذي يكون مطلقا أكثر من الأحكام، ويتوافق مع الطريق من خلال الأعمال الدينية والحقيقة من ناحية الأسرار الباطنية فالشريعة علم، الطريقة: عمل، والحقيقة هو الوصول إلى الله.

ويمكن ارجاع إلى القول بان الشريعة والطريقة تديَنا جماعي والحقيقة تديَن فردي.[34]

إن المراد بالذاتي والعرضي في الدين هو الدين نفسه، لا المعرفة الدينية ولا أحوال المتدينين، ولا التقسيمات الأخرى التي نذكر منها على سبيل المثال: «تقسيمات حيدر الآملي" الإسلام، الإيمان، الإيقان، أو التدين المصلحي والمعرفي أو التجريبي""

ويفهم من العرضي: ان العرضي متغيَر فبإمكانه أن يظهر بأي صورة أما الذاتي فهو الذي لا يمكن الاستغناء عنه إلا بالابتكار والمتمثل في الدين ذاته ولو نظرنا إلى تاريخ الأديان يمكن التسليم بتعددها ووجوده أيضا، ولكن لا يمكن التسليم بأنها روح واحدة، كمثل أفراد الأسرة الواحدة يتشابهون في الأعضاء: العينين، ولون الشعر (الحالة المورفولوجية) إلا أنهم ليس لديهم تفكير واحد، وهذا ما أحدث مشكلة لدى الفلاسفة في تعريفهم للدين، لأن محاولة إيجاد تعريف موحد للدين وتحركوا على مستوى إيجاد وصف عام، وكلي للأديان، فعند المسلمين مثلا اقترن السياسة بالدين مفخرة لهم على غرار المسيحين الذين يعتبرون ذلك تلويثا وتشويها للدين، لأنه متعالي عن الأشياء الواقعية، فالبحث في عرضيات الدين انفع وأكثر نتيجة من البحث في دائرة الذاتيات والتوصل إلى تجريد وفهم العرضيات الخاصة بأحد الأديان أكثر فائدة من البحث في عرضيات الدين بشكل عام.[35]

ولو تمحصنا في العرضيات جيدا لوجدناها لا تنبع من أصل الذات وإنما فرضت عليها فرضا، وانها قابلة للتحول والتغيَر وليست متساوية في الأحكام وتركت لنفسها مجالا وأجواء تختلف من عرضي لآخر، فمثلا: عندما يستخدم شاعرا ما لغة معيَنة، أو يختص بلغة فقط مثل: جلال الدين الرومي الذي استخدم اللغة الفارسية في شعره بالرغم من أنه يستطيع أن ينظم الشعر بلغة تركية أو بأخرى ولكن الفارسية وفرت له ما يحتاج من ثقافة تاريخية وحوادث تناسبه وتناسب الثقافة الشعبية التي هو جزء منها فالعرضيان لا تخلق التعين للذات بل تسمح لها بالتحلي ولا تنبع من الذات بل تطرأ عليها وبالتالي أن تترك لنفسها مجالا باستخدام اللغة، كما ذكرنا في المثال السابق ما للغة العربية المستخدمة في الكلام الإلهي.[36]

للدين معارف وتكوينات خارجية أصبحت عبر التاريخ داخلة فيه بالتدريج، وباستعمالنا الأدوات اللازمة المتمثلة في عملية التفكيك والتقطيع مفاصله وطرح قضايا شرطية كاذبة

المقدم وخلاف الواقع، ولكي يتسنى لنا معرفة المناهج والأساليب الأصلية لتمييز ذاتيات الدين من عرضياته.[37]

فنعود إلى مشكلة العربية باعتبارها عرضية بنسبة ارتباطها بالدين الإسلامي، فنجد أن عادات العرب وثقافتهم، والممارسات الاجتماعية مثل: الخيام والجمال، ووأد البنات كلها كانت أمثال قد وردت في القرآن على شكل آيات بينات لتقريب الفهم من الفرد العربي، وحتى وإن نزل في مكان آخر لاستعمال شواهد من ثقافة ذلك المجتمع فيقول سروش:""... ولا شك أن بعثة نبي الإسلام العزيز أنها لا تقلل من أهمية الإسلام، ولو كانت في محيط آخر فإن الدين الإسلامي ونصوص الوحي وقوانينه ستكون بشكل آخر قطعا من دون ان يمس ذلك بعظمة ذلك الخطاب السماوي او يقلل من أهميته، وعندما سوف لا يجد الوحي حاجة للإشارة إلى قصة أبي لهب وقريش..."[38]

ونجد كذلك دخول بعض المصطلحات في الكتاب الكريم هي في الأصل غير عربية فنجدها أحيانا مستخدمة بين القبائل العربية إثر تمازجهم مع الحضارات الأخرى أو الجار مثل بلاد غارس وامثال هذه المصطلحات: مرجان، ياقوت، إبليس، صراط، سندس، سربال....، وكذا بعض المصطلحات الأصيلة مثل: الشريعة، الدين، وهدى.....

فكانت اللغة العربية التي تلائم نزول الوحي في استخدامها لتبليغ ما جاء لآجله وكذا الأمور العرضية النظريات الفيزيائية والكيميائية والفلكية وسواء سلمنا بصدقها أو بكذبها فإنها تكشف الحجب عن الذات، كذا الحوادث التاريخية: «ومن جملة الأمور العرضية في الدين جميع الأسئلة والقصص والحوادث التي ورد ذكرها في القرءان والسنة من قبيل الحروب الاعتراضات العداوات...."[39]

ويجدر بنا في هذا المقام الحديث عن بعض المشاكل التي أدت إلى تردي بعض العلوم وتضخمها على عاتق هذه العرضيات كالفقه رغم دنيوته وبشريته فيرى "سروش" أن تضخم المسائل الفقهية يفتح الباب أمام الجيل الشرعي للفرار من التكليف ويعلم الناس كيفية التخلص من الحكم الشرعي وكما نجد بعض العرضيات في الديانات السابقة مثل اليهودية

كتحريم يعقوب عليه السلام على نفسه أكل لحم الإبل نذرا لمرضه فجاءت الأحكام الشرعية اليهودية فيما بعد بتحريم لحم الإبل على بني إسرائيل جملة، وكما يذكر الدهلوي(العرف والمتكلم الهندي) في كتابه " حجة الله البالغة""، الدليل الذي يثبت بان الأحكام الفقهية من عرضيات الدين هي الحالة الثقافية لمجتمع معين وكذلك الحالة الاقتصادية والاحتياج، فهناك اختلاف في عرضيات الدين بين الكتب السماوية فيما يخص مثلا الغنائم ففي عصر نوح كانت محرمة كما في عصر محمد صلى الله عليه وسلم، كانت حلال على المسلمين نظرا لاحتياجهم، ونجد كذلك تشابها مع الديانة اليهودية فيما يخص رجمهم للزاني والزانية، ويقطعون يد السارق ويقيمون القصاص على القاتل، فمهما اختلفت الشرائع وتنوعت لكنها تجدها متشابهة في العرضيات.[40] وتدخل العادات والتقاليد في التأسيس لمختلف الشعائر الديانة الواحدة.[41]

إن الأمثلة التي أتينا على ذكرها في السابق، نقل التمر إلى البصرة، نقل الكمون إلى كرمان، نقل الفحم إلى لندن هو تطابق وتشابه للأحكام العرضية التي وردت في الديانات السماوية، فالحوادث التاريخية ليست إلا عرضيات لكشف الذات.[42]

أما فيما يخص مسألة الإيمان في ظل العرضيات فإنها ليست عقدية، لأن الإيمان يتعلق بالإسلام العقائدي لا الإسلام التاريخي، لأن المؤمنين الذين لم يبقوا ليعايشوا الحوادث التي وقعت في الأيام الأخيرة من الوحي، ولم يعلموا بها فهم مؤمنون كإيمان الذين من بعدهم """....وهذه التحقيقات وعملية الغربلة للعناصر الذاتية والعرضية، تولد حقيقة مسلمة، وهي أنه لا يمكن المرور من خلال أي أمر عرضي إلى أمر ذاتي الإسلام العقائدي يمثل عين الذاتي، والإسلام التاريخي يمثل عين العرضيات، والمسلم إنما يكون مسلما إذا التزم بالعقائد التي تمثل الذات للدين، والمعرفة الدينية في الحقيقة تتخلص في معرفة الذاتيات وتميَزها من العرضيات، والاجتهاد الفقهي يستلزم الترجمة لثقافة العرضيات.[43]

***خاتمة:**

نخلص في الأخير إلى نتائج في نظرية "سروش" الدينية نستنتج ما يلي :

*ساهم الفكر الغربي وخاصة في نظرية المعرفة في أنماط العقل الإنساني، وخاصة الإسهامات العربية الإسلامية في محاولات عدة من الاستمداد من هذا الفكر ومحاولة النهوض بنا نحو أفق أفضل

*كشفت نظرية سروش عن العديد من النقاط المهمة وكشف المستور وخبايا وآليات فهم الدين لكثير من المفكرين وخاصة العقيدة السلفية الملقبة حاليا بالفرقة الناجية إلى غيرها من الشعارات المزيفة، فنجد أن معظم التحليلات الفكرية تصب في قالب واحد هو مدى مساهمة المعرفة البشرية في إغنائها للفكر الديني وضرورة القيام بعمليات تكيف هذا التدين مع تطور العلوم والتكنولوجيات المعاصرة، فكانت نظريته هذه قاسمة لظهر العقائد المزيفة التي تدعي الفهم الصحيح للدين بل وتتعالى في فهمها هذا بأنه هو الدين نفسه، ولكنها على حد تعبير "سروش" لا تميز أصلا بين الشريعة وفهم الشريعة.

5. الإحالة والتهميش:

1-عبد الكريم سروش، العقل والحرية، ت: أحمد القبانجي، بيروت –بغداد، منشورات الجمل، ط1، 2009، ص ص 6-7

2-أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ت: عبد الرزاق قسوم، الجسور للمشر والتوزيع، ط1، الجزائر ص 21.

3-عبد الكريم سروش، العقل والحرية، المصدر السابق، ص 7

4-عبد الكريم سروش، العقل والحرية، المصدر السابق، ص 7-8

5-شمخي جبر، مجتمع مدني، عبد الكريم سروش، أول واضع لبذور التعددية في العالم هو الله، جريدة الصباح العراقية، 2009/12/12م، ص 3

6-عبد الكريم سروش، العقل والحرية، المصدر السابق، ص8

7-عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة: دلال عباس، بيروت، دار الجديد، ط1، 2009، ص 7

8-عبد الكريم سروش، العقل والحرية، المصدر السابق، ص9

9-عبد الكريم سروش، العقل والحرية المصدر السابق، ص 9

10-محمد احمد الخطيب، مقارنة الأديان، الأردن، دار المسيَرة للنشر والتوزيع، ط2، 2009، ص 25

11-ابن منضور لسان العرب، م 2، دار الكتب العلمية، ط1، ج11، 2003، ص 1469

12-محمد أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 26

13-شفيق جوادي، مقاربات منهجية في فلسفات الدين، بيروت، معهد المعارف الحكيمة، ط1، 2004، ص38

14-أمل مبروك، فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص20

15-محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع، ص ص 13-14

16-عبد الكريم سروش، العقل والحرية، المصدر السابق، ص 15

17-عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، المصدر السابق، ص ص 88-89

18-المصدر نفسه، ص 157

19-عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، المصدر السابق، ص 158

20-المصدر نفسه، ص 159

21-عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، ص 100

22-المصدر نفسه، ص 160-164

23-عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، المصدر السابق، ص 172

24-المصدر نفسه ص 183-184

25-المصدر نفسه، ص ص 184-185

26-المصدر نفسه، ص 176

27-المصدر نفسه، ص 180

28-المصدر نفسه، ص 186

29-عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة، المصدر السابق، ص 187.

30-المصدر نفسه، ص 191

31-عبد الكريم سروش، العقل والحرية، المصدر السابق، 19

32-عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ت: أحمد القبانجي، منشورات الجمل، ط1، بيروت – بغداد، 2009، ص 38

33-عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، المصدر السابق، ص 39

34-المصدر نفسه، ص 39

35-عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، المصدر السابق، ص ص 44-46

36-المصدر نفسه، ص ص 55-56

37-المصدر نفسه، ص 57

38-عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، المصدر السابق نص 61

39-المصدر نفسه، ص 68-72

40-عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، المصدر السابق، ص 77-88
41-عبد الكريم سروش، الذاتي والعرضي في الأديان، قضايا إسلامية معاصرة، ع22، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، شتاء 2003، ص 198
42-عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، المصدر السابق، ص ص 82-83

قائمة المصادر:

1–عبد الكريم سروش، القبض والبسط في الشريعة: دلال عباس، بيروت، دار الجديد، ط1، 2009
2–عبد الكريم سروش، العقل والحرية، ت: أحمد القبانجي، بيروت –بغداد، منشورات الجمل، ط1، 2009.
3–عبد الكريم سروش، بسط التجربة النبوية، ت: أحمد القبانجي، منشورات الجمل، ط1، بيروت –بغداد، 2009.

قائمة المراجع:

1– أبو حامد الغزالي، المنقذ من الضلال، ت: عبد الرزاق قسوم، الجسور للمشر والتوزيع، ط1، 2007 الجزائر
2– محمد احمد الخطيب، مقارنة الأديان، الأردن، دار المسيَرة للنشر والتوزيع، ط2، 2009
3– شفيق جوادي، مقاربات منهجية في فلسفات الدين، بيروت، معهد المعارف الحكيمة، ط1، 2004
4– أمل مبروك، فلسفة الدين، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004
5– محمد عثمان الخشت، الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، دار قباء للنشر والطباعة والتوزيع

قائمة المجلات والجرائد:

شمخي جبر، مجتمع مدني، عبد الكريم سروش، أول واضع لبذور التعددية في العالم هو الله، جريدة الصباح العراقية، 2009/12/12م
عبد الكريم سروش، الذاتي والعرضي في الأديان، قضايا إسلامية معاصرة، ع22، الفلاح للنشر والتوزيع، بيروت، شتاء 2003،

قائمة القواميس:

ابن منظور(1311م)، لسان العرب، م 2، دار الكتب العلمية، ط1،ج11، 2003